الشخصية الاستثنائية
عملاً وتعاملاً

أ. صالح بن عبدالله التويجري*

يمثل الدكتور محمد الرشيد -رحمه الله- الشخصية الاستثنائية ذات الأدوات المتفردة في العمل، والمعاني السامية في التعامل أنموذجاً فذّاً وعنواناً بارزاً احتل من خلالها صدارة الفكر التربوي على مستوى الوطن ودول الخليج ومنظمات التربية عربيّاً وعالميّاً مسيطراً على الشعور والمشاعر عطاءً لافتاً في مختلف المواقف والمواقع والميادين، ومن هنا فليس من السهل على الإطلاق تتبع سمات هذه الشخصية النادرة ورصد إنجازاتها والتعريف بامتيازاتها تربويّاً وقيادةً ووفاءً... في مقال كهذا ولكني أقول حسبنا من السوار ما يحيط بالمعصم.

فمحمد الرشيد رمز تتوارى أمام وصفه، وما قدمه من مثالية في العمل مفردات اللغة وقواميسها في حين نشعر نحن بالقصور عن الحديث عنه وعن عمله وحسن خلقه، ولئن غاب هذا الرمز الوطني المفعم بقيم الكفاءة والجدارة والمواطنة والولاء لدينه ووطنه وأمته والمحققة لمعاني الإنسانية والنبل والوفاء، فإنه سيظل عامراً في قلوبنا حاضراً في وجداننا وكل من تعامل معه.

وستبقى في ذاكرة الأجيال شاهداً حيّاً في عالم العلم والعمل يحكي روحاً حملت ريحاناً، فتألقت كبدر الدجى في سماء التربية والتعليم..

محمد الرشيد خرج على التقليدية والرتابة والنمطية، وأصبح علامة فارقة في تاريخ وزارة التربية والتعليم، ونقطة تحول هائلة في أساليب عملها، وهياكلها، وبرامجها، حتى أصبحت الوزارة في عهده مضماراً مكتظاً بسباقات فكر حافلة ملأت أرجاء الوطن والمناطق التعليمية بالذات تواصلاً ونجاحاً وتميزاً، ورفعت معنويات المعلمين والقائمين على التعليم في المناطق وكليات المعلمين والوزارة، وقدمت نماذج فذة في العمل بروح

* مدير عام التعليم بمنطقة القصيم سابقاً.

الفريـق والتعـاون والتفوق والإبـداع، تلك التجليـات اللافتة والمبـادرات الحيوية جاءت نتيجـة مناخ مختلف استقطب العديد من الكفـاءات، وأعاد صياغتها مختطاً لها مساحة كافية يملؤها الحب والتقدير والثقة والاحترام.

هـذا بعض مـا احتوته كنانة محمـد الرشيد، وهكـذا كان سلاحـه، فاستطاع قيادة المركـب، وشق عبـاب البحر بسواعـد استحضرت الـدور، وقـدرت المسؤولية، واقتدت بالقيـادة، فاستمتعت، وتجلـت، وتباهت بتجليـات وزيرها المغـرم بالتجديد والتحديث والإبداع في أجواء لا تعرف المستحيل، ولا تعوقها العقبات، فترى في كل مشهد أبا أحمد - رحمه الله - حاضراً بفكره وتوجياهاته وصبره وحلمه، وقبل ذلك يأتي تقديره وامتنانه ووفاؤه للعاملين معه على مختلف مسمياتهم.

محمـد الرشيـد - رحمه الله - لم يحدث هذه النقلة النوعية، ويحقق الإنجاز بسلطة الوزيـر ولا بأمـره ونهيـه ولا حتى بحكم مركـزه ودرجة نفوذه، بل جاءتـه منقادة بالحب والعطاء والوفاء والتضحية والثقة والإخلاص.

محمـد الرشيد - رحمه الله - لـم يكن مجرد وزير للتربية والتعليم فحسب.. بل كان وزيـراً للإنسانية بأسمـى معانيها وأبهى صورها.. لم نشعر معه حينـاً أننا خلفه أو تحت إدارته، فقد كان ضمن الصف في مختلف مواقفه ومناسباته وأدواره.

وإذا كان - رحمه الله - قد حقق للوزارة والتعليم على خارطة الوطن إنجازات كبيرة، وأرقامـاً نفخر ونفاخر بها، فإن وزارة التربية والتعليم تمثل حلقة واحدة فقط في سلسلة (محمـد الرشيد) القامة السامقة التـي استطاعت أن تشكل طيفـاً متناغماً، ويكفي أنه جمعنا حيّاً، وجمعنا ميتاً يرحمه الله..

هكـذا هـم الكبـار.. وحدهم مـن يرسمون خارطـة المستقبـل.. فـي حياتهم وبعد رحيلهم.. أنموذجاً متفرداً في القيادة والتربية والوفاء.

رحم الله أبا أحمد، وجمعنا به في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.